رجل البوليس والأدارة فى مصر
هو المعلم الثانى للشعب

لصاحب العزة محمود بك عبد الرحمن

إن رجل البوليس والإدارة بحكم عمله أكثر الهيئات اتصالا بالشعب واحتكاكا بمصالحه، وهو من وراء القانون اليد التى تحكم والأداة التى تضطلع بتنفيذ نظام الدولة — وهو حامى الاصلاح الذى تنشده الحكومة . هو عدة الحكم كما أنه ملجأ المحكوم .

فاذا كان رجل الأدارة غير صالح لمركزه فسد معه كل نظام يتولى تنفيذه — وإنه ليتولى تنفيذ الأغلبية الغالبة من نظم الدولة ومشروعاتها — أما إذا صلح هذا الحاكم استقام للنظام أمره واستوى حال المجموعة التى يتولى الأمر فيها — ويستوى فى هذا جميع رجال البوليس والإدارة بمختلف طبقاتهم من رئيس النقطة إلى أعلا حاكم إدارى .

ومرد صلاح هذه الطائفة من الحكام مبدأ واحد هو (الشعور بالواجب وأداء الواجب للواجب) .

فالعدل والمساواة كل منهما واجب . وصون حق المواطن واجب . ودفع الأذى عنه واجب . وتمكين الأمن واجب .

هـذه الأنواع من الواجبات أمانة فى عنق رجل الإدارة، إذا تمكن الشعور بالواجب من نفسه أداها جميعا غير متبرم ولا ضجر بكثرة ماهو ملق على عاتقه منها بل إنه لا يتذوق هدأة البال وراحة الضمير إلا فى ساحة هذه الواجبات وبلوغ آخر الشوط فيها .

وإذا أدى الحاكم هذه الرسالة فقد أدى فى الوقت نفسه رسالة أخرى فى تنشئة جمهوره، وهى اطمئنانه إلى حيـاة عادلة، فيثق فى طبعه بدوره الشعور بالواجب نحو نفسه ونحو غيره فيرتاح الى العدل فلا ينتقم — والى المساواة فلا يحقد — والى حماية الحق فلا يتعصب — والى كفالة الأمن فلا يعبث . وبهـا يلتقى الناس جميعا عند حد القانون إلا من شذ، والشاذ لاحكم له ولا عيب على الحكم فى أمره .

وعندها تتصل قلوب الشعب بقلب الحاكم — وينظرون اليـه نظرة الجيش للقـائد لا الطير للصائد .

وعندها يترسم الجمهور خطى الحاكم مقبلا لصلاح قيادته لامنساقا خشية سطوته .

أما إذا أحس الجمهور فى الحاكم زيغا أو ضعفا فى الحق أو ظلما — انكمشت فيه الفضيلة وتسلل الضعف إلى خلقه — وتفشى الحقد والتقاطع وعم التباغض، فحقد الأخ على أخيه وقاطع الجار جاره وتباعد القريبان — وتفرق الجمهور فى مهواة الأخلاق الفاسدة شيعا يسعى بعضهم بالشر لأنه لم يلق الخير من غيره وينقلب البعض أمام الظلم طاغية يجرم سرا ما استطاع السر — وجهرا ما قدر عليه — وفى حين يستكين البعض الى الظلم فتموت نفسه ويعيش فى خيبة مكبوتة جبانا . وهكذا تسود فوضى الأخلاق ويكثر الإجرام ويضطرب الأمن .

والعلاقة بين خلق الحاكم وخلق المحكوم فى مصر جد وثيقة لأن الجمهور أعوزه بنهاله إلى من يرسم له الطريق ويضع له الخطة ويجعل له من نفسه القدوة .

أما الجمهور المتعلم فهو يقظ يعلم الحاكم الملتوى كيف يعتدل والعود الأعوج كيف يستقيم .

مهمة الحاكم الإدارى شاقة هينة — شاقة إن شق على الحاكم الواجب أو قل شعوره به. هينة إن أحب الواجب للواجب .

العقبات :

لكن ما أكثر العقبات فى طريق الحاكم الإدارى .

هذا حاكم مندفع تياره لا يلوى على شىء أمام المصلحة العامة — يعترضه أمر أعلى فيقف أو يتريث ، وقد يحاول أمام التيار العكسى أن يتغلب فينجح مرة ويخفق مرات لكن عليه أن يحاول المضى وأن يحاول النجاح اللهم إلا أن لا تكون له حيلة فهو عندئذ غير ملوم ولا هو عنه مسئول .

المجاملة :

فى طريق الحاكم الإدارى أيضا ظاهرة شائعة هى حب المجاملة يطلبها منه كل من هب ودب ، والمجاملة تنقلب ظلما إذا قدمها المرء على حساب حق للغير .

وإذا الحاكم لم يجامل فهو بغيض إلى أغلب الناس غير حبيب لديهم ، فأكثرهم يطلب المجاملة ولكن أهون بهذا البغض فانه يتلاشى رويدا رويدا أمام المسلك الواحد فى عدم المجاملة ، على حساب الغير وأمام احترام الجميع لهذا النوع من الحكم يتشربونه يوما بعد يوم حتى تموت تلك الظاهرة .

الشفاعة والوساطة :

فى طريقه يضا الشفاعة والوساطة — وهى داء عالمى لا فرق فيه بين أمة وأمة إلا أفى الكثرة والقلة . فهى مرتفعة عندنا شديدة الوطأة فينا . عسير علاجها على الحاكم الإدارى لكثرة المصالح المشتبكة عنده .

لكن يجب عليه هو الأول أن يذدها عن بابه ما دامت وساطة غير بريئة أو شفاعة على غير حق ، وعلى الرئيس الأعلى أن يحمى رجل الإدارة الذى يليه من هذا التيار الجارف . وطالما أذاع الوزراء والرؤساء فى نشرات أو كتب بأن الوساطة حرام على طلاب الحاجة من موظفين وغيرهم ، ولكنها لا تحدث فيهم أثرها ولن تحدث أثرها ، إنما الأثر كل الأثر من العمل ، والعمل وحده . بالقاعدة التى ينطلق بها المنشور أو الكتاب وشد أزر هذه القاعدة فى كل فرع من فروع الأدارة .

استغلال النفوذ :

فى طريق رجل الأدارة أيضا صخرة عاتية هى الاستغلال واغتنام الفرصة ، وقد أصبح ذلك الداء تقليدا وتراثا تتلقاه هذه الفئة عن تلك ، وقد يعصف هذا التقليد بعدالة الحاكم وإلا فبمركزه ، إلا من عصم الله بخلق متين أو رئيس رشيد على العدل أمين .

وإنك لترى الواحد منهم يعتقد أن من حقه أن يمتاز على سواه من غير مميز إلا أنه من لون معين أو ناحية معينة ، ثم يقر فى ذهنه أن واجب الحاكم أن يتقمص نفسيته وأن ترى عينه مارأته عين صاحبه .

والويل كل الويل لأمة هذا مقياس التفاضل بين أبنائها ، وذلك مبلغ فهم العدل فيها .

وياويل شعب يحس أن ميزان العدل فيه متأرجح مع أهواء ذوى الغلبة والنفوذ يوما ويوما . وياخيبة جيل لا يحس كل فرد فيه أن حقه كمواطن هو هو فى كل عهد ، وأنه مصون فى كل وقت ، وأن موقفه من هذا الحاكم هو موقفه من ذلك حقوقا وواجبات .

على الحاكم الأدارى أن يعنى أكبر ما يعنى بهذه الناحية وإلا ضاق بالمواطن وطنه وخفت فى الحق صوته وتخاذلت قوميته وتضعضعت حميته وتسرب اليه روح الوطنى البائس — فشقى بذلك وطن بأسره .

أرأيت الى الحاكم الادارى وما يحيط به من واجبات وصعاب ورأيته أنه اما مثل صالح ينهض بمجهوده أو سيء يخدر به . هو المعلم الثانى لشعبه . وفى عنقه أمانة يهون عليه أداؤها ما شعر بالواجب يبذله لوجه الله والوطن .

وليس يكفى فى الحاكم الإدارى أن يكون عادلا طيبا متوفرا على عمله ، بل يجب أن يكون شجاعا غير هياب من المسئولية . كما يجب على رؤسائه أن يمعنوا النظر طويلا عند تحميله المسئولية فيمنحوه فرصة الاقدام والعمل لا التهرب والتستر .

فكم قتل الخوف من المسئولية روح العمل والجد فى نفوس الكثيرين — يجب ألا تميت روح الراغبين فى العمل وإلا عشنا فى غشية كغشية أهل الكهف لا نحن موتى ولا نحن عائشون .

على أن المتتبع لحال الادارة يلمس فى عهد الفاروق تطورا ظاهرا فى الاقبال على الواجب ويرى أنا قطعنا نحو الايمان بالغيرة (حب الغير أو المجموع) خطوات إن لم تكن هى كل الشوط ، فهى على كل حال خطوات مباركات وأول الغيث قطر ثم ينهمر .

محمود عبد الرحمن
مفتش وزارة الداخلية